محمود حسنى العرابى

«نعم أنا ماركسى وأناضل من أجل الاشتراكية، وعلاقتنا بالأممية هى مجرد علاقة أخوية، وكل أهدافنا هى إنهاض العامل وإحداث تطوير فى حالته يناسب الزمن ويحقق العدالة».

محمود حسنى العرابى
(فى دفاعه أمام محكمة جنايات الإسكندرية)

هو واحد من أربعة وقعوا بيان تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى فى أغسطس عام ١٩٢١، هو ثالث ثلاثة أصدروا جريدة «روح العصر» فى عام ١٩٣٠. عصام الدين ناصف ـ د. عبد الفتاح القاضى وهو. لكن روح العصر لم تكن البداية بالنسبة له، بل ربما ما قبل النهاية. فماذا عن البداية؟

هو تاجر أقطان غنى، يقول عن نفسه: «كسبت عشرات الألوف من الجنيهات من المضاربة فى القطن، وعشت فى الإسكندرية معيشة شاب أرستقراطى.. يكسب الألوف ويبعثرها بلا حساب»، وذات يوم التقى العرابى بجندى إنجليزى ماركسى، الجندى تحدث والشاب الثرى انبهر واكتشف عالما آخر غير عالم الألوف واللهو. ويبدأ العرابى فى القراءة والبحث والترجمة. وفى حوارى مع د. محمود القاضى وصف العرابى بأنه «رجل مثقف دوره فى مصر كدور بليخانوف فى الثورة الروسية، ونجح فى تكوين نفسه تكوينا نظريا راقيا». ويترجم العرابى كتاب «الحركة الاشتراكية» لرامزى ماكدونالد. ويترك بعدها تجارته ويتفرغ للعمل الاشتراكى. وفى ٢٨ أغسطس ١٩٢١ يصدر البيان الأول للحزب الاشتراكى المصرى موقعا بأربعة أسماء: «سلامة موسى ود. على العنانى ومحمد عبد الله عنان ومحمود حسنى العرابى» (الأهرام ـ ٢٩ أغسطس ١٩٢١). وبعد نوبات عديدة من الصراعات حول هوية الحزب هل يكون اشتراكيا فقط أم شيوعيا. ينحاز العرابى إلى

الجانب الماركسى ويعقد المؤتمر الأول للحزب الذى ينتخبه سكرتيرا عاما. ويسافر بعدها إلى موسكو ليحضر المؤتمر الرابع للكومنترن. ومن موسكو يرسل العرابى عديداً من المقالات تلقفتها الصحف المصرية، وكانت بعنوان «روسيا الحمراء» وتنشر «الأهرام» فقرات من خطاب ألقاه العرابى فى المؤتمر قال فيه: «إننا نأمل بالرغم من مقاومة الاستعمار الإنجليزى والرأسمالية المصرية أن نرى الأعلام الحمراء وهى ترفرف يوما فوق ربى الأهرام» (الأهرام- ١٩٢٣/٤/٦).

ويعود العرابى إلى مصر ليعقد المؤتمر العام الثانى للحزب ويقرر المؤتمر انتخابه مرة أخرى سكرتيرا عاما. لكن الحزب لا يبقى طويلا فى ساحة العلنية وبعد موجة إضرابات عمالية عاتية أصدر سعد زغلول، رئيس الوزراء، قراراً بحل الحزب ومصادرة ممتلكاته، وألقى القبض على جميع أعضاء لجنته المركزية. وأمام المحكمة قدم دفاعاً قوياً وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات. وأضرب هو ورفاقه ستة وعشرين يوما عن الطعام مطالبين بحقوق السجين السياسى وأنهى الإضراب بعد استشهاد أنطون مارون. ويصف العرابى فى مذكراته حالته أثناء الإضراب: «حلق ملك الموت فوق رأسى لكننى لم أخشه». ويقضى فترة العقوبة ويخرج وقد تغير. فسعياً وراء العلنية طالب بتغيير برنامج الحزب واسمه وتوجهاته والتحول إلى حزب اشتراكى إصلاحى. ورفض رفاقه فاستقال. وكانت المصيدة الطبقية معدة بإحكام فى ذات يوم استقالته نشرت له أربع صحف أربعة مقالات مختلفة يعبر فيها عن توجهه الإصلاحى وهى صحف: الهلال ـ المقتطف ـ الرقيب ـ الحياة الجديدة. ويخيل إليه أنه سيصبح كاتباً مرموقاً يحتضنه الجميع. وينشر أفكاره الاشتراكية الإصلاحية على الجميع. لكن المصيدة التى تلقفته ليبتعد عن حزبه وعن تراثه وأفكاره ما لبثت بعد أن تأكدت من عزلته عن حزبه أن لفظته وتوقفت عن نشر مقالاته، ثم ما لبث الأمن أن بدأ فى مطاردته وفى تضييق الخناق عليه. ويلتقى العرابى بعصام والقاضى ليصدروا معا جريدة «روح العصر» كجريدة اشتراكية مستقلة. لكنها تطارد وتفلس ويستشعر العرابى غربة قاتلة. ويشعر بمأساة مناضل تمرد على حزبه ووقع فى مصيدة الإعلام المعادى وتوهم أنه سيصبح كاتبا مرموقا ثم يطرد من جنة الإعلام ليقف وحيدا. ونقرأ فى مذكراته: «ضيقت على الإدارة الخناق فى عام ١٩٣١ فرصدت أمام دارى الجواسيس ليل نهار، وكنت أسكن فى حارة ضيقة فى حى السكاكينى فأثارت المراقبة شكوك جيرانى وأخذوا ينظرون إلىّ

شذرا ويتهامسون فيما بينهم كلما رأونى، فصبرت على هذا الشر طويلا وقلت فى نفسى متى تحقق المسئولون ظلم هذه الرقابة سيلغونها، لكنهم حسبوا صبرى تحديا فكثفوا الرقابة وأرسلوا من يتعقبنى حيثما ذهبت فضج أصحابى ومعارفى وتسحبوا من مقابلتى وتعذر على العمل فى أى جريدة أو مكتب، فأسقط فى يدى ولم أجد مخرجا من ورطتى» (محمود حسنى العرابى - ٨٩ شهرا فى المنفى - ص٥). أسقط فى يدى أنه ثمن التمرد على الحزب وثمن الوثوق فى الخصم، وقرر العرابى الهجرة.. وسافر إلى الإسكندرية ليودعها: «الإسكندرية أحب البلاد إلى قلبى ففيها قضيت زهرة شبابى، فيها درست فى العباسية الثانوية، وفيها ضاربت فى البورصة وجمعت عشرات الألوف، وفيها بدأت حياتى السياسية وخطبت فى ألوف العمال.. فيها ترجمت وكتبت وناضلت، وها أنا أسير فيها وحدى كسير القلب مهيض الجناح لا يأبه لى أحد..أغريب أنا فى بلدى؟» (المرجع السابق - ص٨). ويسافر إلى ألمانيا ليقضى ثمانى سنوات فى فقر مدقع يعمل على الآلة الكاتبة ويترجم أحيانا، وأخيرا يعود الطائر المهاجر ليجد موج الماركسية قد عاود الارتفاع من جديد، لكنه يبقى محاصرا بأخطائه القديمة، ويرفض الجدد تقبله فى صفوفهم. ويقضى أيامه الباقية كسير القلب، محاولا أن يفعل شيئا دون جدوى، فالرفاق الجدد رفضوا أن يمدوا يدا للربان الذى هجر سفينته لدى أول انكسار.

وتبقى سيرة محمود حسنى العرابى.. درسا.